

الشباب والتيارات المعاصرة

بقلم د. محمد بن سعد الشويعر*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير، سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على دربهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.. أما بعد :-

فإن الحديث في موضوع كهذا، له أهمية كبيرة من حيث الاستيعاب والاستعداد، لأن ما يعترض الشباب، ويشوش أفكارهم، وخاصة في عصرنا الحاضر، الذي تكاثرت فيه التيارات المتعارضة، بحيث أصبحت الأفكار المتصارعة من نماذج متعددة، سمة من سمات العصر الذي نعيش فيه، يجب أن تؤخذ الأهمية له.

ولذا فإن على المهتمين بتأدية الأمانة العلمية والقيادية واجباً يحسن بهم أن يأخذوا الحيطة من أجله. وجهوداً يجب أن يبذلوها من أجل حماية الشباب، وتحصين عقولهم من تلك الأفكار المسلطة. وتنقية أفكارهم عن تلك التيارات الجارفة. وإحلال أذهانهم بأفكار إسلامية مكانها، حتى يكون لدى الشباب في البيئة الإسلامية مناعة في التصدي، وقدرة على المجابهة.

(*) وردت للكاتب ترجمة في العدد التاسع من المجلد ص ٢٨٩.

وهذا الموضوع في نظري هام وخطير، وأستطيع القارىء عذراً فيما قد بيدر من قصور، أو يلمس من نواقص، لأن الإحاطة بجوانب هذا الموضوع، والاستشهاد بالوقائع، يحتاج لقدرة أمكن، وإطلاع أكثر.. ولذا فإن ما أطرحة في هذه العجالة، ما هو إلا جهد المقل، مسترشداً بالتعليق والإضافة والتوضيح والإبانة ممن له إحاطة ودراية.. ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، إذ حسبي في هذا التعرض الحماسة والرغبة في المشاركة، وطرح الموضوع للإبانة عن أهمية الحاجة إلى حلول مريحة، تطمئن الأمة على شبابها، وتعين في حمايتهم من المخاطر المحدقة بهم.

ذلك أن شباب اليوم يملكون بعقبات متعددة، وتحيط بهم مدلهمت خطيرة، وتكتنفهم تيارات عديدة أكثر مما أحاط بشباب الأمس، لأنه قد ركز نحوهم غزو متعمد، بقصد بلبلة أفكارهم، ونصبت لهم الشباك بطرق شتى لمباعدتهم عن دينهم، وتشكيكهم في قدرة شرائعه على حل ما يعترضهم، ومحاوله صم آذانهم عن فهم تعاليمه فهماً صحيحاً، أو أخذها من مصادرها الموثوقة.

ولذا فإن الحماية من تلك الأخطار تحتاج إلى جهد يبذل، وعمل يتواصل، وجهود تتضافر، مع فهم عميق، وإدراك وروية.

شباب اليوم انفتحت أمامهم مصادر المعرفة، وتكاثرت عليهم الآراء المتباينة. وانتشرت في ثقافتهم الأفكار والنوايا المغرضة، التي يراد بها تشكيك المسلمين في دينهم، وانحرافهم عنه، ما بين مسموع ومزني ومقروء.

وقد تعددت المصادر التي تأتي منها الأفكار والعلوم، وأصبحت المعرفة الموجهة إلى الشباب ذات أبعاد متنوعة من فكرية إلى عقدية إلى مادية وابتزاز، إلى ملذات ودعوة لتسليم النفس قياد الهوى، والنفس أمارة بالسوء.

ترابطت أطراف العالم بثقافته، وتشابكت الطرق المؤدية لذلك، وتعددت الوسائل الحاملة لهذه الثقافات، وخلف كل ثقافة بعداً عميقاً في الجذور العقدية، والمنطلقات الفكرية. وغالبها خلفه أيد نشطة تحركه وتغذيّه، وتدفع في سبيله الشيء الكثير من جهد ومال ووقت وتخطيط. أصبحت وسائل الثقافة الموجهة، متوفرة في كل صقع من الأرض، بل دخلت كل بيت في أنحاء المعمورة، حتى أكواخ الفقراء، ومضارب البادية، وحصون النساء المخدّرات، لقد تسربت إلى كل مكان تحركها عوامل متعددة: من نفس وهوى وشيطان.. وشياطين الإنس أشد خطراً من شياطين الجن.

أصبحت وسائل الثقافة اليوم سلاحاً ذا حدين في التوجيه والاهتمام، وهو إن روعي فجانب خير ومفيد.. وهذا لن يتأتى إلا بجهود مبذولة في التوجيه والإعداد، ومغالبة للنفس في العمل، وهو قليل في أرض الله الواسعة، إلا ما رحم ربي.

وجهود أخرى في المراقبة والحيلة.. وهذا الجانب المهم، مهما بذل فيه فإن له طرقاً للإفلات يدركها المتمرسون فيه، والمدفوعون إلى ترويجه لأي هدف، وبأي مصلحة شخصية أو جماعية.

وعندما نحيل النظر، فإننا لا نجد شخصاً لا يملك جهاز راديو، أو يحتفظ بجهاز للتسجيل، كما أن الأجهزة المرئية من تلفاز وفيديو، وغيرها قد سرت في المجتمعات الإسلامية سريان النار في الهشيم.

أما الصحف والثقافات المتعددة، المهتمة بالصورة المثيرة، والمعلومات التي تتلاعب بأوتار الحواس عند الشباب، وتثير العواطف والشهوات، فهي المصدر المحبب إليهم أخذاً من قول الشاعر :

منعت شيئاً فأكثر الولوع به أحب شيء إلى الإنسان ما منعا
فكان لابد من معرفة ذلك، ثم التعرف على السبل المعينة على حماية

المجتمع، وتسليح الفرد لمجابهة تلك الأخطار المحدقة والأعمال المسلطة. فالإنسان لابد أن يكون حذراً مستعداً للمعركة بما يناسب المقام من سلاح وقوة: قوة في الفهم والإدراك، وقوة في الحجة ورد الشبهات، وسلاح يقارع به ما سلط نحوه، وما نصب له من أهداف، كما يقال في المثل العربي : إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب. والموجهُ للأمة الإسلامية شرور كثيرة يجب أن يتقن سلاحها بالتحصن والمدافعة.. مع الحذر والحيلة.

ونستطيع أن نجمل مسارب التيارات المعاصرة في الأمور التالية:

- ١ — الهجمة الشرسة على الإسلام والعداء للمسلمين.
 - ٢ — قسر الأمور الإسلامية حتى توافق الأهواء.
 - ٣ — التشكيك في التشريعات الإسلامية.
 - ٤ — ما تنطوي عليه أفكار المبشرين والمستشرقين.
 - ٥ — الحرب على اللغة العربية.
 - ٦ — تسليط المغريات، والترغيب في الملذات.
 - ٧ — إظهار شعارات مختلفة لتكوّن مجالات للترابط والتقارب مع الإسلام.
 - ٨ — إيجاد هوة بالنفرة بين الشباب وبين قادتهم وعلمائهم.
 - ٩ — تحريك النزعات العقدية، والنزعات العرقية.
 - ١٠ — تجسيم التيارات الفكرية، ونشرها وتمجيد أصحابها.
 - ١١ — تبني التيارات الأدبية بمذاهبها وأهدافها.
 - ١٢ — تهيئ هم الشباب، وتشكيكهم في قدرة أمتهم الإسلامية في مسايرة الأمم الأخرى حضارياً وعلمياً.
- وسوف نمر بكل واحد من هذه الأمور على عجل، لأن الوقت المخصص لا يسمح بالإطالة والاستقصاء لعل من معرفة الداء، يوفقنا الله

للوصول إلى الدواء، واستعماله فأقول وبالله الاستعانة :

١ — الهجمة الشرسة على الإسلام: فمنذ أن أشرقت أنوار الإسلام الساطعة في بطاح مكة والهجمة عليه وعلى رسول الهداية شرسة، ونارها مستعرة : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(١).

لكنها في العصر الحاضر أخذت طرقات أخرى كاختلاق الأوصاف والنعوت للمنتمين إليه، والحريصين على التمسك بشعائره. ذلك أن يقظة المسلمين، وعودتهم لصفاء تعاليم دينهم، النقية من الشوائب والرجوع لكتاب الله، والصحيح من سنة رسول الله ﷺ في كل أمر لإبعاد ما أدخل على الإسلام في عصور الجهل والتقليد.

هذه الأمور تقض مضاجع أعداء الله، وأعداء دينه في كل مكان، وفي مقدمتهم إمامهم وزعيمهم إبليس اللعين، الذي أخذ على نفسه عهداً بصد عباد الله عن الطريق المستقيم، بعد ما أعطاه الله الوعد بالإنظار إلى يوم الدين، فقال جل وعلا، على لسان عدو الله، وعدو عباده :

﴿ قَالَ فَعِزَّكَ لَا تَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ الْإِعْبَادَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾^(٢).

وفي سورة أخرى جاء قول الله تعالى : ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾^(٣).

ويسهل مهمته أعوانه من شياطين الإنس والجن، الذين :

﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾^(٤).

إذ نلمس فيما يقدم من آراء وأفكار تنال الإسلام وشرائعه أن خلفها

(١) سورة التوبة آية ٣٢.

(٢) سورة ص الآيات ٨٢ - ٨٣.

(٣) سورة الأعراف الآيات ١٦ - ١٧.

(٤) سورة الأنعام الآية ١١٢.

اختلاقاً وترويجاً ومتابعة مصدرها اليهود منذ بعث ﷺ وحتى اليوم. ولذا فإن الشيطان يفتح لأولياته طرقاً في الهجوم على الإسلام بأساليب متنوعة ذات ملمس لئِن، ومخبر سيء، يخاطب بها عقولاً متباينة، فيعطي لكل عقل ما يتلاءم معه إدراكاً وتفكيراً، ويفتح له مغاليق الرغبات والنزعات، ليرضي أثراً في نفس ذلك الشخص، ويجب إليه العلو والتسلط.

ولذا نهى جل وعلا رسوله الكريم ﷺ عن سب آلهة الذين كفروا، لأن هذا يدفعهم إلى التعصب الأعمى، فيسبوا الله عدواً بغير علم^(١). ومن تنزيه الله تبارك وتعالى عن سفههم المقيت، جاء الأمر الرباني بتوجيه أكرم خلق الله، والمؤمنين المتبعين له، بأن يكونوا قدوة صالحة، ونموذجاً فريداً حتى يحتذي الآخرون ذلك المنهج، فقال جل وعلا :

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ولن نتوقف تلك الهجمات ما دام في الدنيا خير وشر، إلا أن المسلمين يستطيعون التصدي لذلك بفهم دينهم، حيث تنمو الحجة، لتقطع بالبرهان، والدليل القوي.

وفي هذا الموقف فإن على الشباب دوراً هاماً في تقوية الملكة : تعلماً وتدريباً وسؤالاً وأخذ منهج القرآن الكريم في التوجيه وطريقة النقاش نبراساً، ومشعل هداية. لأن في تعليماته خير مدرسة، وفي نقله صورة ما حصل من المشركين واليهود من حوار وشبهات، وإجابة على ذلك خير معين، يشد العزائم، ويقوي النفوس، فيما تريد المسيرة نحوه، حيث طرحوا أقوى ما لديهم من شبهة، دحضت بالحجة القوية والدليل المقنع.

(١) اقرأ الآية ١٠٨ من سورة الأنعام والآية ٤٦ من سورة العنكبوت، ونموذجاً من الحوار العقدي

في سورة آل عمران، الآيات ١٨ - ٣٢.

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٨.

يدرك هذا كل من لديه عقل سليم، وفهم عميق :

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾^(١).

٢ — محاولة قسر الأمور الإسلامية حتى توافق الأهواء: وفي هذا الجانب يحاول المتربصون بالإسلام وأهله، تحريك أنصاف المتعلمين، وأرباعهم باستثارة نقطة معينة أمامهم. ليفسروا الأمور المحيطة بهم، بما تصف الأهواء، ويلين في الألسن، تقليداً لأهل الكتاب في بدء إعراضهم عما جاءتهم به رسلهم من الهداية والنور المبين، واستهانة بشرع الله، ومخالفة رسله فيما أمروا به، فيسايروهم في ذلك الأمر، ويسيروا خلفهم حذو القذة بالقذة.

والشباب تبههم مسارات الأمم الأخرى، وما لديهم من مظاهر براقة، فيلتفون حول كل دعوة تربط الجديد في حياتهم بالدين، والمظاهر المدنية بنصوص الشرع، وقد لا يميزون بين الصحيح المقنع، والغريب المتكلف. ففي فترة من الزمن برزت على الساحة الثقافية كتب كثيرة تمجد الاشتراكية وتصفها بأنها من الإسلام، وأن الدين الإسلامي يدعو لها، وقد أخرجت كتب باسم أبي ذر الغفاري ووصفه بأنه أول اشتراكي في الإسلام، وقسرت دراسات وأفكار لتتفق مع ما يدعو له زيد وعبيد، لشحن الأذهان بأن ما دعا إليه هو متلائم مع الإسلام، وضربت النماذج برجال من الزهاد وأهل الورع والتقوى كأهل الصفة الذين منهم أبوهريرة، وبمكانة بعض الصحابة كبلال ومصعب بن عمير وغيرهما.

وما أكثر اغترار شباب ذلك الجيل بالعبارات المنمقة والأساليب الخداعة، والتأثر بالأسماء اللامعة من الأدباء والعلماء الذين كتبوا وشجعوا. وكأنه قد خفي على هؤلاء وأولئك منحى الإسلام في تصريف المال، وطريقته في حماية الفرد والجماعة وما تعنيه اشتراكية كارل ماركس

(١) سورة النساء آية ٨٧.

اليهودي، من أمور أساسها وقوامها فكرة الإلحاد في العقيدة، وإنكار وجود الله جل وعلا وتقدس وتعظم، عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ويستطيع الشباب اليقظ أن يدرك حقيقة ما يطرحون لأنهم يسمّونه نظرية، والنظرية تعرف بأنها ما يقبل الخطأ والصواب، أما المسلم فيعتبر القرآن والسنة في الشريعة حقيقة لا يتطرق إليهما الشك. فالحقيقة تنفي النظرية والشباب في كل عصر ومصر تتجدد أمامهم أمور، ينبري لتبنيها أصحاب الأهواء، وتنطلي بمظهرها على ضعاف الثقافة، وبسطاء الإدراك. والحق لا يتبع الأهواء، ولا يخضع للرغبات الشخصية، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنْتَ لَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١).

والجهلة من العلماء أو المتجاهلون، هم المطيعة التي يركبها أعداء الله وأعداء دينه وفي مقدمتهم اليهود، لتحقيق المآرب، وهم الدمية التي تحرك من وراء الستار لئلا يندرك في الاتجاه الذي يريده المتخفي. لأن أعداء دين الله يدركون عدم قبولهم في المجتمع الإسلامي، وعدم الإصغاء لما يقدمون من وجهة نظر، بل العكس محاربة كل ما يأتي عن طريقهم ومقتته، كما قال بذلك أحد المستشرقين عندما حاول دراسة نفسيات المسلمين في دولة أفريقية فقيرة.

ولقد استغل هذا المركب الاستعمار في بعض ديار الإسلام، فارتفع قدر الدور الصوفي وزاد الاهتمام بالطريقة في البلاد التي دخل، وشجعت الفرق الصغيرة الخاملة لتكون ذات صوت إسلامي كالثقافية والبهائية وغيرهما، ووجدوا في الشباب خير معين في تحقيق الهدف الذي قصده: لحماستهم، واندفاعهم، وسطحية ما لديهم من معارف وعلوم. فأصبح البغاث مستنسراً في ديار الإسلام، ونجح أعداء الله في تغذية مجال التنافر

(١) سورة المؤمنون آية ٧١.

والتناحر بين المسلمين، وهم بذلك مدركون حقيقة حديث رسول الله ﷺ أكثر من إدراك المسلمين له، وذلك عندما قال ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة عامة، فأعطانيها، وسألته ألا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها وسألته ألا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها» أخرجه الترمذي ومسلم عن خباب بن الأرت رضي الله عنه.

٣ - التشكيك في التشريعات الإسلامية، وفي قدرتها على موازنة الحياة الحاضرة : بحجة أن العصر قد تطور، وأن متطلبات الحياة، وأسلوب تعامل الناس فيها، يدعو إلى الأخذ بما في حياة الأمم من أسلوب في التعامل القانوني والربوي والاجتماعي والإداري والتربوي، وتنظيم الضرائب والغرامات والتأمينات إلى غير ذلك من أمور حسبها أصحابها جديدة، وأن الإسلام بعيد عن الأخذ بها، لأنهم لم يفهموه، وقصر بهم علمهم عن استظهار ما تنطوي عليه شريعة الإسلام من أمور تحل بها المشكلات الاقتصادية وغيرها مما بدأ وسيجد في تنظيم الحياة، وتسيير أمور الناس فيها، وغاب عنهم مفهوم قول الله تعالى :

﴿ مَا قَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١).

وشمولية هذا الدين الذي جعله الله خاتم الأديان، في حل كل معضلة تعترض أو مشكلة تنشأ فوصفوا الإسلام وتشريعات الله فيه، بما وصفوا به دياناتهم النصرانية واليهودية وغيرهما، مما دخلته يد الإنسان تعديلاً وتبديلاً. وهم بذلك يريدون إلباس الثوب الجاهز في انتقاداتهم لدياناتهم وتصرف رجال الكهنوت فيها وتعديلات العلماء ورجال الدين في تشريعاتهم وما أنزل عليهم من كتب، برسالة الإسلام والنبي الكريم ﷺ، وما جاء في القرآن الكريم الذي حفظه الله من العابثين، وحماه من

(١) سورة الأنعام آية ٣٨.

أصحاب الأهواء. فهم قد وجدوا في أحبارهم ورهبانهم صفات وأعمالاً متباينة، جعلت العقلاء والمفكرين يعددون مآخذ كثيرة مما أوجد في تاريخهم الطويل — لمن يقرؤه — ثورات متعددة على الكنيسة وحماتها، والمنتفعين من ورائها.. بدءاً بمحاكم التفتيش والتسلط ونهاية بالثورة العلمية، حيث اتجهت أفكار شبابهم إلى المبادئ والأيدولوجيات المختلفة من : علمانية في العقيدة، ورأسمالية في المال والعمل، إلى إلحادية في العقيدة واشتراكية في المال والتوجيه.. ثم تبع ذلك أفكار ومبادئ متعددة كالماسونية والوجودية وغيرها كثير، «إذ خلف كل مبدأ غاية وهدف يرمي إلى جذب المتتمين إليه»^(١).

وما ذلك إلا أن عقولهم كانت فارغة من الإيمان بالله، ومما تعنيه قوة الإيمان، وناقصة في فهم العقيدة الصافية الصادقة بتوجهها لله، حيث يحث على ذلك الإسلام وتجعل تعاليمه سياجاً يحمي النفوس من المؤثرات. وإذا كان قد جاء في المثل العربي : كل إناء بالذي فيه ينضح ، وقولهم: كل ينفق من معين داره.. فإنما يتحمسون له من باطلهم، جعلهم يلفقون التهم حول الإسلام تشكيكاً وافتراء وتهويلاً، وتلبساً على الذين لا يعرفون شيئاً عن تعاليم الإسلام وأثرها في حياة الفرد ونماء المجتمع، واستقامة شئون الحياة.

في الوقت الذي انساق معهم ضعاف القدرة العلمية، والتمييز والإدراك، لأبعاد ما طرح أمامهم، كجزء من الاستجابة للتيارات

(١) في عام ١٩٦٥م - ١٣٨٥هـ خرجت الطبعة الثانية من كتاب: اعرف مذهبك تأليف مارتين دودج وتعريب أحمد المصري، وفيه تعريف بـ ٣٧ مذهباً جديداً في الفكر والسياسة، ولم يذكر ما أوضحناه أعلاه منها، مما يدل على كثرة الأفكار والمذاهب، وأنها تزداد مع الأيام لأنها تنطلق من الأهواء ولا بد أنها زادت بعد تأليف هذا الكتاب أضعافاً.

كما صدر في عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م كتاب المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها أورد فيها ١٥ مذهباً فكرياً وعقدياً وأبان موقف الإسلام منها.

الموجهة.

ووافقهم عليه المنبهرون بمظاهر حضارتهم، المنخدعون بلحنهم في القول، وما جسّموه من أوهام، في مثل نعتهم آثار الحدود الشرعية في الإسلام : في الزنا والسرقة، والقذف، وشرب الخمر والردة عن الإسلام وغيرها بنعوت عديدة كالقسوة والظلم والوحشية، وأن البدائل التي لديهم أرحم وأكثر التصاقاً بالإنسانية، وتوجيهاً للمنحرف.

ودورنا في هذا هو تعبئة أذهان الشباب وثقافتهم، بالنظرة الشمولية من الإسلام، واهتمامه بحفظ الفرد والجماعة، وصيانة الأعراض والأموال، بوضع الحواجز التي تردع جماح النفوس، وتحمي الحقوق عن التعدي أو التطاول، ومناقشتهم من المنطلق الذي يعرفونه بآثار الجريمة والاعتداءات في ظل نظام الإسلام، بعد مقارنتها بما لديهم في بيئاتهم، إذ جعل الله لكل تشريع حكمة وغاية.

والشباب هم الأرض الخصبة لهذه الشبه ، وهم أيضاً الدرع الواقية، إذا عرفوا وأدركوا نظرة الإسلام لهذه الأمور، ليدّبوا عن دينهم شبهات المبطلين، ويحموا مجتمعهم من نفثات المغرضين الحاقدين، ويوضحوا لغيرهم خفايا ما يقال حول الإسلام، إذا صدروا في فهمهم عن علم حقيقي مستمد من الفطرة الإسلامية الشمولية لكل أمر يطرح.

٤ — ويدخل في النقطة السابقة : ما تنطوي عليه أفكار المبشرين، وما تنفته سموم المستشرقين: نحو تراث الإسلام، وما جاء في تعاليم الإسلام بمصدره، حيث نلمس أمثال ذلك عند : غوستاف لوبون الفرنسي، وجولد زهر الألماني، وصموئيل زويمو القسّ الإنجليزي، الذي قيل عن أصله بأنه يهودي، ووول ديورانت صاحب قصة الحضارة، وغيرهم كثير.. أوائلهم وأواخرهم من الذين هاجموا الإسلام وأرادوا تقويض دعائمه بكل

ما أوتوا من قدرة علمية^(١) ، في الكتابة والتدريس وفي المناقشة، ووضع الشبهات أمثال :

- تعدد الزوجات، ووصفهم رسول الله ﷺ والصحابة ومن جاء بعدهم بنعوت منها الشهوانية والتلذذ، وامتهان كرامة المرأة.
- إطلاق الحرية للمرأة بالاختلاط في العمل، والعلاقة بمن تشاء، والتصرف بنفسها بما تريد ما دامت تجاوزت الثامنة عشرة، ووصفهم الإسلام بالتحجير والتضييق على حركة المرأة وفكرها.
- اتهامهم عائشة رضي الله عنها بالفحش رغم أن القرآن الكريم برأها، كما هي تهمتهم من قبل لمريم عليها السلام، واختلاق الأكاذيب حول مواقف إسلامية لكثير من القادة الإسلاميين كخالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم.. والكذب في سير حياتهم بأن رغبته في القتال أساسه الحرص والاهتمام بالحصول على نساء من يقاتلون، بحيث يطرحون شهاً حول شرعية الجهاد وتحويله إلى رغبات شخصية لا حباً في نشر دين الله، وإعلاء كلمة التوحيد، ومحاربة ما نهى الله عنه من عقائد ومعتقدات.
- إشاعتهم أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف والقوة، واصفين المجاهدين

(١) من أراد توسعاً عن المستشرقين فليراجع بعض الكتب أمثال :

- ١ — الإسلام في وجه التغريب: مخططات الاستشراق والتبشير لأنور الجندي.
- ٢ — الإسلام والمستشرقون عدد خاص من مجلة البعث الهندية رمضان عام ١٤٠٢هـ.
- ٣ — الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية للدكتور قاسم السامرائي.
- ٤ — مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية جزأين صدر عن مكتبة التربية العربي.
- ٥ — الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم للدكتور مصطفى السباعي.
- ٦ — أضواء على الاستشراق للدكتور محمد عبدالفتاح عليان.
- ٧ — الاستشراق والخلفية الفكرية للدكتور محمود حمدي زقزوق كتاب الأمة قطر.
- ٨ — السنة مع المستشرقين والمستغربين للدكتور تقي الدين الندوي.
- ٩ — معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير لإبراهيم سليمان الجبهان.
- ١٠ — بحث بعنوان: المستشرقون والتراث للدكتور عبدالعزيز محمد الديب حوله جامعة قطر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ص ٧٠٣ - ٧٤٧ عام ١٤٠٥هـ وغير هذا كثير.

- في سبيل الله بحب القتل من أجل التسلط والسيطرة وكسب المغنم، ووصفهم الحدود الشرعية بالقسوة وامتهان كرامة النفس البشرية.
- ترغيبهم في الخمر والزنا واللواط ، وأن ذلك لم يحرم في الإسلام إلا لسبب انتهى وقته، وزالت المؤثرات الداعية إليه.
- تشكيك أبناء المسلمين ممن يسافر إليهم للدراسة أو العمل أو السياحة حول لحم الخنزير، وأنه حرم في الإسلام لعله صحية أمكن السيطرة عليها بالطب الحديث، وأساليب الطهي والتعقيم.
- فريتهم على رسول الله ﷺ بأنه تعلم على أيدي اليهود والنصارى في الشام والمدينة، وأنه استقى ما في القرآن الكريم — الذي يصفونه بأنه كتاب ألفه محمد. كما ذكر ذلك صاحب المنجد وغيره — من علومهم متأثراً بما تلقى عنهم، حيث جاء من أكاذيبهم بأن محمداً ﷺ تعلم على أيدي اليهود والنصارى ليوهموا من يقتنع بكلامهم أن الدين الإسلامي تبع لدياناتهم، وأن القرآن الكريم أصله ما في أيديهم من التوراة والأنجيل المحرفة، ومن هذا الكلام يتوصلون إلى الاهتمام بالأصل وترك الفرع، الذي يعنون به القرآن الكريم.
- وصدق الله جل وعلا في قوله الكريم :
- ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾^(١).
- تشبيههم حال رسول الله ﷺ ، عندما يأتيه الوحي بالمصروع أو بمن مسّ من الجن. وهذا من المساس بالوحي وبرسول الله ﷺ ، وبقصد الإنقاص من مكانتها في النفوس.
- تشويهم لتاريخ الإسلام، ووصفه بنعوت منفرة ومشككة في صحة نوايا قادة الإسلام وعلمائه، كوصفهم لهارون الرشيد بأنه زير نساء وتجسيمهم الرقّ في الإسلام، وخوضهم في سير رجالات الإسلام

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.

بإدخال هئات تقدح في شخصياتهم، وتجسيمهم الأخطاء، وتعمد الكذب في هذا التاريخ بما يدسونه من أمور تختلف من عصر إلى عصر حتى نهاية الدولة العثمانية.

— حرصهم على إشاعة ونشر كتب السحر والمجون والطرق الصوفية، والقصص الخرافية، والموسيقى وأنواع الغناء، وإبراز ذلك على أنه تراث إسلامي، وجعل ذلك مجالاً للقدح في حضارة العرب وتاريخ الإسلام.

— سرقة تراث المسلمين وكتبهم، وما تنبىء عنه من علومهم المختلفة، وتسمية ذلك لرجال منهم، ونسبتها إليهم اختراعاً وتأليفاً وفكراً. كما في الدورة الدموية لابن النفيس، وطب الأطفال لابن ربن، وعلاج الشقيقة وغير ذلك من العلوم المختلفة، وخاصة العلمية منها^(١).

— دسهم الكثير في تاريخ الدولة الأموية، وأجزاء من تاريخ الدولة العباسية، وبث المعلومات الملفقة لتشويه سمعة الدولة العثمانية ليبرروا التعدي عليها وتقسيم ممتلكاتها غنيمة بينهم من جانب، ولتحقيق أطماع اليهود في إيجاد موضع استيطان كنواة لدولتهم، حيث عارض السلطان عبد الحميد في الموافقة على إعطاء وعد بذلك على أرض فلسطين لتكون مقراً لدولة اليهود.

— إلى غير ذلك مما يللمسه من يتتبع دراساتهم وتحليلاتهم عن مجريات الأحداث التاريخية، وآراءهم في وقائع الأمة الإسلامية، ونظرتهم إلى المجتمعات الإسلامية مبثوثة في وسائل الثقافة المختلفة.. وتطرح أمام الشباب شبهات تشكك، أو ثقافة مدسوسة. فيجب تهيئة النفس لإدراك كل ما يطرح، وتحضير الإجابة المسكته من المعلومات

(١) من أراد توضيحاً أكثر فليراجع ما يكتبه الدكتور علي الدفاع من مقالات عديدة في تراجم رجال الإسلام وعلمائه.

الصحيحة الكاشفة لما وضعوه.

ولن يكون الجواب مهيناً إلا بثقافة جيدة في التاريخ الإسلامي، ومعرفة حقيقية لتراث الإسلام ومكانة رجالات الأمة، وذلك بتوسيع المدارك، واستقصاء المعلومات والسؤال والمناقشة. فثقافة الشاب ليست حصيلة يوم أو يومين، ولكنها مرحلة طويلة تحتاج إلى صبر واستيعاب، وحسن اختيار، حتى لا يضيع العمر في أمور غير نافعة.. وإن من نباهة الشاب أن يكثر المساءلة عن النافع مع من تقدموه عمراً وعلماً وتخصصاً.. فالعلم لا يناله مستح ولا متكبر.

٥ — محاربة اللغة العربية بمحاولة نزعها من ديار الإسلام وتجسيم صعوبتها نطقاً وإدراكها فهماً، وذلك لأنها لغة القرآن الكريم، الرابط المتين بين المسلمين في أي مكان. واستبدالها بلغة المستعمر بحجة الضرورة للتنظيم وسهولة التفاهم والتخاطب، مع الاهتمام باللهجات المحلية، وتنمية العامية في ديار العرب، حتى ينقسم الشباب المسلم في كل مكان من إدراك المعاني العميقة في دينهم، فيسهل توجيههم إلى كل ما يريده الأعداء من ثقافات وعلوم، وربطهم فكرياً باللغة التي فرضت عليهم، كما يتيح هذا العمل فرصة لدخول التبشير في صفوفهم لخلو الأذهان من السلاح المضاد.

ولقد بلغ الأمر في صرف الشباب عن اللغة العربية إلى إيجاد جوائز للآداب الشعبية والآداب العامية، وتشجيع هؤلاء الشباب بتنظيم اهتمامات علمية بالدراسة والتأليف في اللهجات وخلفياتها، وجائزة سعيد عقل نموذج لذلك.

وقد ظهر مثل هذا العمل مصاحباً لإثارة النعرات الإقليمية والقبلية في كثير من ديار الإسلام، فوجد من يتعصب للعامية، وينمي آدابها ولهجاتها، ويهتم بجذورها، ويدعو إلى التخاطب بها والكتابة بها.

كما وجد من يدعو إلى استبدال الحروف العربية بالكتابة، إلى الحروف اللاتينية حيث نجح عملهم هذا في تركيا وأندونيسيا وغيرهما، باستبدال الحرف العربي الذي كانت تكتب به هذه اللغات إلى الحروف الإفرنجية. كما حرصت كل أمة من الأمم على إنشاء معاهد لتسهّل بذلك دراسة لغاتها في ديار الإسلام، ويسرّت على الشباب هذه الدراسة وما تتطلبه من كتب وأجهزة وتبسيط في التعليم، سواء في بلد الشاب أو في بلد الدولة الأم لهذه اللغة، ثم تحييمهم في هذه اللغة التي ارتبطوا بها : محادثة وكتابة وسماعاً بتوفير كل الأسباب الرابطة للشباب بهذه اللغة بالإهداء أو تسهيل مهمة السفر، أو بالمغريات الأخرى، والمتابعة بعد ذلك، أو بوسائل الإعلام.

وهذا كله من أجل إضعاف صلة الشاب باللغة العربية لغة الدين والثقافة، لغة القرآن والنور اليقين، ليتجزأ العالم الإسلامي، وليضعف الرابط المتين، الذي يشده للوحدة والتماسك.

ثم يسلكون طرقاً أخرى في تجسيم صعوبة قواعد العربية وفروعها وألفاظها. وعدم القدرة على استيعابها، وأن الواجب ترك ذلك لأهل الاختصاص مستشعدين على ذلك بحالات شاذة في هذا الصدد كقرينة على ما أرادوه.

ذلك أن من كُلف بشيء اهتم به، ومن اهتم بشيء أنساه ما سواه، وهدفهم الاهتمام بلغاتهم لربط شباب المسلمين بثقافتهم وأفكارهم، وإنسائهم ما له صلة بدينهم، وجذور تاريخهم وأجدادهم.

وهم في هذا التوجيه يتحصلون على هدفين رئيسين :

١ — تفريغ العقول من الأمور الهامة التي تربط بالدين الإسلامي.

٢ — سهولة جذب شباب المسلمين إلى معتقداتهم وأفكارهم.

والثاني لا يتحقق إلا بالأول، وهم في غزوهم هذا لا يطمعون في

تحويل الجيل الأول من المسلمين إلى معتقداتهم، لأن هذا مستحيل حسبما أدركوه عملياً، وهو مصداق لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذي والنسائي، وجاء فيه أن المسلم لا يرجع للكفر بعد أن أنقذه الله منه، حتى يعود اللبن في الضرع.

فقد قال أحد المنصرين^(١) إنه لا يشرفنا أن يدخل المسلم في المسيحية بعد أن ترك دينه الإسلامي، لأن من ترك دينه لا خير فيه، ولكن أهم ما يجب عمله هو أن نشكك المسلم في دينه، حتى يكون خالياً من الدين، ثم نجذب الجيل الثاني بعد ذلك لديننا.

٦ - تسليط المغريات والترغيب في الملذات : وهذا مدخل من مداخل الشيطان حيث يسלט أعوانه لاقتناص الفرص لمعرفة نقاط ضعف النفس البشرية، وإيقاعها في الموبقات التي نهى الله عنها فقد أخبر رسول الله ﷺ : بأن الجنة حفت بالمكاره، وأن النار حفت بالشهوات^(٢) ونحمد الله أن ديننا الإسلامي لم ينه عن الزينة، ولا عن التمتع بالطيبات من الرزق، ولم يأمر الله المسلم بترك الحلال مهما كان نوعه، أو الزهادة فيه ما دام مصدره طيباً، ولا يتعارض مع نص شرعي بالتحريم أو الإباحة كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِمُ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٣)

ويأتي من تسليط المغريات، ترغيب الشباب في الغناء والرقص، وربطهم بالموسيقى والتصوير وغيرها، بحجة أنها مواهب يجب أن تتمتع، وطاقات يجب الاستفادة منها، تقليداً لما هو سائد في بلاد غير المسلمين،

(١) تسمية أنفسهم مبشرين غير مناسب لأن الله بعث محمداً بشيراً ونذيراً. والأفضل جعلهم منصرين لأنهم يدعون للنصرانية والله سماهم نصارى ولم يسمهم مسيحية.

(٢) حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، ورواه مسلم والترمذي عن أنس بن مالك ولفظ البخاري حجب.

(٣) سورة الأعراف آية ٣٢.

فهم لا يرغبون في الحلال وإنما يدفعون بالمغريات، ويحبونها إلى النفوس لتأنس إليها، وترتاح لعملها بأساليب مختلفة، لتقع فيما حرم الله، وفيما نهى عنه شرعه الذي شرع لعباده، والتماس الأعذار والتسويات لإماتة القلوب، حتى لا تبتئس بما تعمل، ويقل إحساسها عما فعلته، ومن ذلك قولهم بأن الموسيقى تفيد في علاج بعض المرضى، وتعين النساء على تسهيل الولادة وغير هذا مما نسمعه ونقرؤه في بحوث، يلمس منها تحليل ما حرم الله من الشهوات وتهوين عقابها. ولاشك أن النفوس قد حجب إليها كل شيء ممنوع، ويكون لطعمه مذاق خاص، إذا تعاون على ترغيبه في النفس الأعداء الثلاثة : النفس الأمارة بالسوء، والهوى الذي يعمي ويصم، والشيطان الذي نذر نفسه لإغواء الإنسان، وإبعاده عن طريق الرشاد والفلاح. وأعدوان الشيطان من الإنس أشد خطراً من جنوده من الجن، لأن الجن يطردهم تكرر ذكر الله، أما الإنس فلا بد من مجاهدتهم بالعلم القوي، والإيمان الراسخ، والفهم العميق، والحجة الداحضة، وفي مقدمة ذلك مدافعة النفس ومحاسبتها، وردعها عن غيها كما قال الشاعر «البوصيري» في حكمته :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
 فإذا تعاون مع النفس والهوى والشيطان جماهير من البشر يسلطون غزواً من المغريات التي تتوق إليها النفوس، وسلكوا في هذا السبيل ألواناً عديدة وجذابة، وزينت المداخل لذلك بطرق متنوعة تفتح مغاليق النفس.. ثم أمام هذا لم تكن هذه النفوس محصنة بسياج إيماني يحميها، ولا بعلم قوي يوضح لها، فهي بلاشك سوف تنهار أمام المغريات، وتجن على الصمود أمام الملذات، وأعداء الله وأعداء أمة الإسلام يحرصون في الدرجة الأولى على غزو الشباب بهذه المغريات، وتكسير حدة المنعة لديهم، لأنهم درع الأمة القوي وسبيل التغلغل إلى مختلف حصون المجتمع

المنبعة. وما ذلك إلا لأنهم يهدفون من مغرياتهم تلك لأمر كثيرة منها :
— المكسب المادي: إذ الغاية عندهم تبرر الوسيلة، وأمثال هذه الأمور ذات مردود كبير، ولذا تجد أن المخططين لها، والعاملين فيها من اليهود، سواء كانوا أفراداً أو جماعات منظمة، واليهود قد عرفوا بأنهم عبادةً للمال، ولا يهمهم الطريق الموصل إليه، لأن الغاية في نظرهم تبرر الوسيلة.

— إفساد شباب المسلمين وإبعادهم عن دينهم بالانشغال بأمور ينهى الله عنها، حتى يرفع عنهم عونه وتأييده، فيسهل على العدو السيطرة على أمتهم من مداخل الضعف التي فتحتها المغريات والملاذات، كما جاء في الحديث القدسي : «من عصاني وهو يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني»^(١).

— الهدف العقدي بإفساد الأمم.. وهذا منهج صهيوني يهودي تحركه أفكار، وتعمل فيه منظمات تبذل الكثير من ربحها في تحقيق المطلب، ذلك أن من وقع في الرذيلة لا ترتاح نفسه حتى يوقع الآخرين معه.
— التسلط والسيطرة، ولا يتحقق هذا إلا مع الهدفين الأولين، فالعقيدة غاية، والمادة وسيلة، أما التسلط والسيطرة فنتيجة لذلك.

من هنا نلمس أنهم أوجدوا لذلك في تياراتهم الموجهة مسارب عديدة، ومطايا مسرجة، كلها مهيأة للوصول للغاية المرسومة، بأساليب ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها يحمل السم الزعاف، توجه للمجتمعات الإسلامية في كل مكان تحت غايات مختلفة مثل :

الترويج عن النفس، شغل الفراغ، التكريم، إحياء التراث، الفنون الشعبية، مسابقة الأمم الأخرى. وغير ذلك من التفنن في الأساليب المؤدية للغاية، والشباب هم أول من توجه هذه الأمور إليه، ويخاطب بها عقله

(١) يروى هذا الحديث ضمن أحاديث أهل الكتاب كما جاء: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.

قصداً، لأن انغماس الشباب مكسب للإغواء، وطريق للموافقة عن بُعد مرامهم، ولا سبيل لإحباط هذه الأمور، وتعثّر ما أرادوه بالأمة الإسلامية، إلا بوضع بدائل تمتص وقت الشباب، وتقضي على فراغهم، وتستهلك طاقتهم، وتفتح آفاقاً لمواهبهم: عملاً وتسليّة وإرضاء نزعات، وفي منهج الإسلام وتنظيمه لحياة الفرد، وتوزيع الجهد بين العمل النافع، وتنمية المهارات ما يحقق الهدف الذي ينشده الحريصون على حماية شباب الإسلام من المنزلاقات. إذ منهج ديننا بأن: صنعة في اليد أمان من الفقر، وخير العمل عمل داود، كان يأكل من عمل يده.

والتركيز على عمق دلالة هذا الحديث : الذي رواه أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق؟ وعن جسمه فيما أبلاه» أخرجه الترمذي. وإن من سلاح الشباب في محاربة هذه الأمور، تحييب شرع الله الذي شرع إلى نفوسهم، وتمكين العبادة من حواسهم حتى يشعروا لها بطعم خاص، كما روي عن مالك بن دينار في دعائه: اللهم أذقني حلاوة الإيمان. فإن للإيمان حلاوة تمد النفوس بقوة، تقف دون تقبلها لما يسلط عليها من ملذات، وما يوجه إليها من مغريات أو يحبب إليها من شهوات، والإيمان القوي هو الذي يدفع نفوس الشباب للعمل والفهم العميق، ووضع السبل القديرة في مجابهة ما يسلط عليهم، بإدراك أبعاده والابتعاد عنها.

٧ - إظهار شعارات مختلفة تتجدد في كل عصر بمسميات متباينة، بدعوى الترابط مع الإسلام، وجذب فئة من أهله إلى دعواتهم للشعارات والمسميات والجمعيات، ذات الأهداف البعيدة: فقد لمسنا في قرننا الحاضر، بل وفي السنوات الأخيرة، دعوات جديدة للتقارب مع

المسلمين، ومحاولة جذبهم إلى الزعامة اليهودية أو الزعامة النصرانية في العقيدة، وتجميع الديانات الأخرى من وثنية وإلحادية مع الإسلام، تحت مظلة هؤلاء تارة، وقيادة هؤلاء تارة أخرى، لإشعار الأمم الأخرى بأن الإسلام منظّمٌ تحت تبعية هذه الزعامة التي يتحمس لها قادتها من يهود ونصارى، وهدفهم من هذا أن يقولوا: بلسان الحال، أو منطق المقال، بأنهم على حق وغيرهم — ويعنون بهذا الغير الإسلام في الدرجة الأولى — على باطل، وإذا حصلت القناعة بأنه على باطل فإن أهله دعاة لهذا الباطل حسب مفهومهم، أو ما يريدون إقناع العالم به.

والشباب هم الغرض المرمي في هذا الأمر، وهم الجهة المخاطبة بما أطلق من شعارات، أو قصد من أهداف، لأن بقناعتهم يمكن بث الفكرة وترويجها، بل وإدخالها للمجتمع الإسلامي نفسه.

ويبرز هذا الاتجاه في مؤتمرات وندوات دعي إليها كثير من المسلمين، ووجهت إعلامياً لجذب المسلمين على الخصوص، واستقطاب اتجاهات الشباب بالذات، باسم التقارب، والقضاء على المشكلات العالمية، موهمين من يخاطبون بأن المشكلات سطحية يمكن السيطرة عليها، والتغلب على مسبباتها، متناسين أن الخلاف بين هذه الطوائف وبين الإسلام خلاف عقدي، لا ينهي إلا إدراك مفهوم شرع الله والعمل بموجبه، وفي مقدمة ذلك إخلاص الوحداية لله بإدراك ما تنطوي عليه كلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، من عمق الدلالة، وسلامة المقصد، ونبيل الاتجاه، وصدق التوجه.. وجعل الحوار للتقارب ضمن مفهومها، وعمق معناها وأن ما أحدثوه من شعارات لا تحقق شيئاً، لأنها بعيدة عن الالتقاء مع مفهوم كلمة الإخلاص: لفظاً ومعنى، حيث برز ذلك البعد في نداءاتهم إلى :

١ — المؤمنون متحدون: وهي جماعة عالمية للمؤمنين بالله يتزعمها البابا،

وقد تأسست في شهر مارس من عام ١٩٨٧م بهدف جمع الديانات بما فيها الإسلام، تحت مظلة النصرانية بزعامة البابا.

٢ — اللقاء الإبراهيمي: الذي دعا إليه قبل الجارودي — المسلم الفرنسي — يهود فرنسا، وأوروبا بتجميع الأديان في الديانة الإبراهيمية نسبة لإبراهيم الخليل عليه السلام الذي يرى اليهود أنه جدّهم وحدهم وليقولوا للناس بأننا الأصل فعليكم أن تتبعونا، وقد عقد في فبراير من ١٩٨٧م في قرطبة بأسبانيا.

٣ — صلاة البابا المشتركة التي أقيمت في قرية أسيس في ٢٧/١٠/١٩٨٦م، الذي اخترعوا فيه صلاة ونشيداً ليكونا مشتركين بين جميع الأديان، وفي حقيقة أمرهما أنهما على طريقة وعقيدة النصراني، وقصدتهم من ذلك تحويل العالم للنصرانية بما فيهم المسلمون.

٤ — نادي الشباب المتدين الذي أقيم صيف عام ١٩٨٧م.

٥ — جمعية «الناس متحدون» أقيمت في شهر ابريل سنة ١٩٨٧م، وهي تالية لتأسيس الجماعة العالمية للمؤمنين بالله «رقم واحد هنا»، التي أنشئت قبلها بشهر واحد، لتقطع الطريق على جماعة الموحدين، الذين بدأ صوته يرتفع في أمريكا، حيث تقارب بعضهم مع المسلمين هناك لأنهم لا يؤمنون بعقيدة التثليث.

وغير هذا من المسميات التي قصد بها عدم تنفير شباب المسلمين في صحتهم الجديدة، حسبما يرى من تواريخ تأسيس هذه الجمعيات، التي زامت رغبة الشباب في العالم بأسره لمعرفة دين الإسلام والتعمق فيه، ودخول مجموعات كبيرة من شباب الغرب فيه عن قناعة ودراية، ودفاع بعض المفكرين في ديار الغرب عن وجهات نظر إسلامية ارتاحوا إليها فإذا ظمنوا مشاركة شباب وعلماء المسلمين في أمثال هذه اللقاءات التي

يديرها ويوجهها مفكرون ورجال دين من اليهود والنصارى، كان هذا أكبر دليل على أحقية باطلهم الذي يدعون إليه، وأشعروا الآخرين بأسلوب عملي بعدم الفائدة من العمق في الإسلام وتعاليمه، لأنه لا خلاف بينهم وبين تعاليمه وتشريعاته.

ثم يخلصون في دعوتهم هذه إلى أن البابا، هو القادر على توجيه هذا اللقاء، وهو المهيأ له لأنه حامل رسالة السلام للبشرية جمعياً كما يقولون في ابتهالاتهم.

وبهذا الأسلوب لا يصبح شباب الإسلام ومفكروهم أنداداً في التوجيه والمقارعة، بل أتباعاً لا يخرجون من لقاء اليهود بل وزعماء الصهيونية، ولا من الاستفادة والتبعية من النصارى، وحملة رايات الصليب، والديانات الأخرى من وثنية وإلحادية وذلك على مستوى الأفراد ثم المؤسسات الإسلامية.

وهذا من أول الخطوات لهدم جدار العقيدة الذي يتحصن به الشباب في ديار الإسلام وصدق الله إذ يقول في تصوير دخائل نفوس أهل الكتاب: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٥ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْفَعُوا جُنُودَكُمْ فِي السَّيِّئَاتِ فَإِن يُدْخِلَكُم فِيهَا فَسُدُّوا أَبْوَابَهَا ۖ وَإِن جُذِبُوا فَسِيْئُوا ۚ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٦﴾ (١).

لأنه يلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون، ولأنهم لن يرضوا عن أمة محمد ﷺ حتى يكونوا لهم من التابعين. ودور المفكرين والعلماء من المسلمين، إدراك هذه الحقائق، وعدم الاستسلام لما يعرضون عليهم، أو المشاركة في المناقشة الواعية لفضح

(١) سورة آل عمران الآيتان ٧٢ - ٧٣.

أعمالهم، وإبانة وجهة نظر الإسلام فيها، وكيفية معالجته للأمر، بما يسعد النفوس، ويعلي مكانة المجتمعات ويحقق الأمن والرفاهية للجميع في ظل عدالته، ونظرته للأمر قاطبة.

٨ — إيجاد هوة بالنفرة بين الشباب : وبين علمائهم وولاة أمورهم: ويدخل في هذا حقوق الأبناء لآبائهم، وعدم امتثال الطالب توجيهات مدرّسه، وذلك بتفسير الأمور على غير وضعها، وتجسيم الصغائر، واختلاق أشياء لا أصل لها، حتى يحدثوا هوة بين الشباب وولاة أمرهم، فيفقد التعاون، ويقل السمع والطاعة. وهذا فيه فساد للمجتمع لأنه مخالفة لمنهج القرآن الكريم، وما دعا إليه رسول الله ﷺ، بوجوب السمع والطاعة لأوامر الله، وتوجيهات رسوله وطاعة من ولّاه الله أمور العباد، فانتظام الحياة الاجتماعية، والأمن لا يتّحان إلا مع الانقياد الذي أمر الله به. فقد تكرر في كتاب الله الكريم، الأمر بطاعة الله، وطاعة رسوله، أكثر من عشرين مرة.. مما يدل على أهمية الطاعة ومكانتها في الإسلام. فولاة الأمور جعلهم الله حماة لشرعة تعليماً وتوجيهاً وقُدوة وتنفيذاً. وفي كل شريعة الإسلام يؤدي العالم والوالد والمعلم والولاة أعمالهم بأمانة وإخلاص، ومن مفهوم الشريعة أيضاً يعرف كل شاب ما يجب عليه تجاه هؤلاء من السمع والطاعة، وحسن الأدب، وأداء الواجب، وحسن الأخذ والاستجابة.

وبذلك ينتظم المجتمع وتسعد الأمة جمعاء.. لأن أمر الله واجب، والاستجابة لرسوله الكريم في دعوته من أسس الإسلام، الذي هو الاستسلام والانقياد والعمل. قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١).

ويقول سبحانه: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ وَتَذَكَّرُوا بِحُكْمِ اللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١).

ويقول الرسول الكريم ﷺ «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه ما أقام فيكم كتاب الله» رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأعداء الله، وأعداء دينه، هم أعداء المسلمين، يريدون بعملهم الموجه ضد المسلمين بث الفوضى في المجتمع الإسلامي، وشق عصا الجماعة، وإثارة هذا كمشكلة لدى الشباب، ليتحول مجتمعهم إلى الفوضى والبلبل، حتى يسهل التغلغل فيه، والسيطرة عليه، عندما يبتعد أبنائه عن أوامر ربهم، بما شرع لهم من وجوب السمع والطاعة للقيادة، والنصح لها، والتعاون معها.

وما كان ديننا الإسلامي ليؤكد على السمع والطاعة إلا لأن قوام المجتمع وسلامته بالسمع والطاعة، فإذا كان أقل الجماعة اثنين فإنهما في السفر لا بد أن يؤمر أحدهما، وعلى الآخر السمع والطاعة، فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» رواه أبو داود.

كما أن هذا الدين يركز على أهمية الجماعة في الصلاة، وهي عبادة بين العبد وخالقه، فيحث على الجماعة، وأن ينقادوا مع الإمام، يقول ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا، وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً» وفي رواية فلا تختلفوا عليه. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والصلاة توطن النفوس عملياً على ما يجب أن ينقادوا فيه مع قياداتهم استسلاماً وتنفيذاً، وتعويد الأطفال عليها منذ حداثة أعمارهم تنمي

عندهم الولاء والطاعة عندما يكونون شباباً، وتحب إليهم في سن التكليف مع الحرص على فهم ما تنطوي عليه من خيرات ومصالح. فهي تؤصل الطاعة والانقياد لولي الأمر.

ووجوب التمسك ببيعة ولي الأمر والسمع والطاعة له، وعدم الخروج عليه من الأمور التي تؤصلها عقيدة الإسلام، كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة منها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يمينه وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه^(١).

والذي يجب أن يدرك الشباب خاصة وغيرهم عامة أن لزوم الجماعة في البيئة الإسلامية جزء من العقيدة التي يجب أن تؤصل في النفوس، حتى لو بدر من القيادة ما يكرهه المرء، مما يحرص أعداء الأمة الإسلامية على تجسيمه سواء كان له أساس أو مخلق، مما يقصد من ورائه التفريق، وإذكاء النزاعات، وإفساد المجتمع، فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(٢).

ودورنا أن نتأدب بأدبه ﷺ، ونتأسى بأعماله، حيث نهى أن يتحدث إليه أحد في أصحابه حتى يخرج إليهم، وقلبه سليم، ونفسه صافية، بدون حقد أو ضغينة، أما أعداء الأمة المسلمة، فهم يريدون لقلوب المسلمين أن تحمل الضغينة على العلماء، والبغضاء بعضهم لبعض، وشق عصا الطاعة لولاة الأمر حتى يفسدوا المجتمع الإسلامي، ويثثوا

(١) انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول ج ٤ ص ٦٧ وهامش ص ٦٨.

(٢) نفس المصدر ص ٦٩.

الفتنة في أرجائه. وبذلك يسهل عليهم تحقيق مآربهم في البيئة الإسلامية، من نقاط الضعف التي أوجدوا مداخلها. وإن السبيل الوحيد الذي يفسد عليهم عملهم، هو تحصّن شباب الأمة بالعلم والإدراك وبث روح الوعي لما تنطوي عليه تعاليم الإسلام في النفوس، حتى تقوى على التصدي لكل ما ييئس، وإدراك ما يراد بأمة الإسلام، فإذا عرف الداء، أمكن معرفة الدواء. وبذلك تتقارب النفوس، وتتحقق الألفة والمحبة بين فئات المجتمع.

٩ — النزعات العقائدية : وهي مدخل دقيق من مداخل النفس وعواطفها، فالولاء العقدي جزء من أجزاء النفس المتأصلة، فكما أن النفس البشرية لا تستغني عن الهواء والماء، لأنها أهم مقومات الحياة، فكذلك الارتباط العقدي، والولاء الوجداني من لوازم النفس. ومقومات كيانها.

والدارسون لخصائص النفوس، يدركون أهمية العقيدة، وحاجة النفس إليها. فالإنسان يأخذها منذ حداثة سنه ممن حوله بدءاً بالأبوين، ثم بمن يرتبط به تعليماً وتقليداً. وقد فطر الله الخلق على العقيدة الصافية. كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه، أو ينصرانه »^(١).

ويأتي التأثير في العقيدة للطفل، ثم الشباب اللذين هما كالصلصال القابل للتكيف على الشكل الذي يضعه فيه من يتصرف فيه — كل من يحيط بهما، ويؤثر فيهما — .

ولا وقاية تحمي الشاب من النزعات الموجهة إليه سواء كانت عقائد دينية، أو اتجاهات فكرية في شئون الحياة المختلفة إلا بتوفيق الأمة بإعطائه حصانة ضد هذه الأسلحة الموجهة إليه، كما يعطى الطفل تحصينات ضد

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد أوسع ابن عبد البر الكلام على هذا الحديث في كتابه التقصي.

كثير من الأمراض في سن معينة من عمره، وتحصيناته تتم في حسن التوجيه والرعاية: في البيت والمجتمع والمدرسة.

وأعداء الإسلام يدخلون على أبنائه من طرق شتى، فيتحينون نقاط الضعف لينفذوا منها، كالشيطان الذي يحاول جذب الإنسان إلى منهجه بقدر ما يستطيع، فإذا عجز عن الدخول من طريق الإغواء إلى المعصية، دخل عن طريق الطاعات والعبادات، ليفسدها على صاحبها: مبالغة وإغواء وتشديداً، وتشكيكاً ووسوسة، وغير هذا من الأعمال المفسدة لجوهر العبادة، وسلامة العمل.

والذين يكيدون للإسلام من الإنس، يحرصون على معرفة خصائص نفوس شباب الإسلام، باعتبارهم العمود الفقري للأمة، والوئد الذي يثبت به المبنى، فيحاولون دراسة نفسيته، وتقويم اتجاهاته، والتعمق في رغبات نفسه، لعلهم يجدون منفذاً يدخلون معه، أو نقطة ضعف تسهل عليهم غايتهم.

ودراسة نفسية الفرد المسلم، والمؤثرات فيه، كانت متأصلة لدى الغرب نحو شباب المسلمين، في محاولة لمعرفة مواطن الضعف فيهم، والنفوذ منها لبواطن عقولهم، ثم تحريك ما يضرّ بهم، ويخدم أعداءهم حتى يجدوا لأنفسهم مستقراً في ديار الإسلام، وهيمنة ذات آثار قديمة قدم العداء بين الإسلام والكفر، لكن الحروب الصليبية زادتها رسوخاً وإلحاحاً، ذلك أنه لم يمتد مكث الصليبيين في بلاد الشام إلا بعد إثارتهم للنزعات العقائدية. واتكأهم على فئات تنتمي للإسلام اسماً وهي بعيدة عنه عمقاً وعملاً.. بل تطعن الإسلام وأهله بخنجر مسموم.

وأصحاب النزعات المتعددة هم العضد المساند لأعداء الإسلام في كل وقت وزمان، وهم الذين ثبتوا أقدام الاستعمار في كل بلد إسلامي، أو بلد به فئات كبيرة من المسلمين في أنحاء المعمورة. والتاريخ خير شاهد

على ذلك، فقد ذكر ابن تيمية رحمه الله دور أصحاب النزعات في خدمة النصارى في بلاد الشام، ومساندتهم لهم^(١). كما ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية شيئاً عمن خدموا التتار في دخول بغداد. وتقويض الخلافة الإسلامية العباسية، والزحف على ديار الإسلام قتلاً وتدميراً، وفي سقوط الأندلس وإقصاء الإسلام من تلك البلاد، كان للمتعاطفين مع الإفرنج من أصحاب النزعات أثر في فتح باب التعاون والتساهل، ثم التخاذل بعدما مكنوهم من رقاب المسلمين، كما جاء في كتب المؤرخين الغربيين، الذين نقل عنهم بول ديورانت في كتابه قصته، وكما نقل أطرافاً من ذلك محمد عبدالله عنان في كتابه نهاية الأندلس، ودولة الإسلام في الأندلس. وغير هذا كثير في سجلات التاريخ.

ولذا فإن الاستعمار في القرن الحاضر وما قبله، قد وجد في أصحاب المعتقدات الشاذة عن منهج الإسلام سنداً قوياً، فأرضى لديهم نزعة حب العلو، وأمدهم بقوته، فمهدوا له السبيل للبقاء، وكانوا شوكة في جنب الإسلام، يحركهم العدو في الاتجاه، الذي يريده ليحقق بهم غرضه، ويظعن بهم أبناء الإسلام، ويحارب بهم مبادئ هذا الدين وشريعته. ومع انتهاء الاستعمار العسكري جاء الاستعمار الفكري، فكانت دراساتهم تخدم ذوي النزعات العقدية، وتسهل لهم الإثارة، لأنهم أدركوا من مضمون حديث رسول الله ﷺ قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة؟ فأعطانيها، وسألت أن لا يهلك أمتي بالغرق؟ فأعطانيها، وسألت أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها». وفي رواية مالك في الموطأ بدل الغرق: «أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم»^(٢).

(١) راجع فتاواه الأجزاء الخاصة بالتوحيد والعقيدة.

(٢) الحديث سبق تخرجه.

ومن تحريك النزعات: سواء كانت عقدية أو قبلية، أو طائفية تشتعل فتيلة البأس، وتتوقد نار الفتنة النائمة، فيجدها أعداء الإسلام في تحريك الأمر من وراء ستار لتكبير الصغير، وتوسيع الخرق الضيق.

وفي هذا شق لعصا الجماعة، وخروج على أوامر الإسلام الذي يدعو للاعتصام والتماسك. فقد نهى ﷺ عن عصبية الجاهلية، وعن التفاخر بالأحساب والأنساب ليجمعهم حول الإسلام ومكانته في تأليف القلوب، وتوحيد الصفوف، والانصهار تحت قيادة واحدة، والسمع والطاعة لهذه القيادة، ضمن الإطار الإسلامي وفي بوتقته.

أما تحريك النزعات العقدية، فهي من الدعوات الجاهلية التي يغتنمها أعداء الأمة عندما تغطي الأثرة، وتضعف مكانة الإسلام في القلوب: عقيدة وفهماً. ويضعف الوازع الديني بتغليب رغبات النفس على تعاليم الدين، وتقديم العاطفة والمصلحة الذاتية، على ما شرع الله، عند ذلك يصبح الإنسان سريع التأثر، لأنه فتح على نفسه باباً يسهل الولوج معه، وثغرة تجد الأفكار والآراء طريقاً للنفاذ معها.

١٠ — أما التيارات الفكرية المتنوعة، ونشرها وتمجيدها، فإن مما لا شك فيه أن كل أمة من الأمم لها فكر ينبعث من عقيدتها، وما تدعو إليه من مبادئ، ووجهات نظر، وهذه الأفكار تتنوع بحسب الاتجاه الذي ينزع إليه الداعون، ولعل أهم تلك التيارات ما يرتبط بالعقيدة، وما يمس الدين الإسلامي، وخاصة لدى أبناء المسلمين الذين درسوا في بلاد الشرق والغرب، الذين يحرص مدرسوهم على شحن أذهانهم بأفكار تشكك في قدرة الإسلام ومناخه في التقدم العلمي والتكنولوجي، وأن خصائص النمو الاقتصادي، لا تتلاءم مع الفكر الإسلامي، وأن السياسة والحكم، وما ينجم عن ذلك من أسس ينتظم بها المجتمع، وتساس بها الرعية، وتكافح بها الجريمة، يجب أن تكون بعيدة عن نظرة الإسلام

وقيوداته، التي تتسم بالقسوة فيما فرض من حدود. وما يطبق على الجاني من عقوبات كقطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن، وإتلاف كل ما حرم في الإسلام. وهو مال أو عرض يمكن الاستفادة منه، إلى غير ذلك من أمور، يتأثر بها بعض الشباب، أو تفرض على الشاب في تعليمه أو بوسائل الإعلام المختلفة، قبل أن تتحصن نفسه بما يعينه على مجابهة الموقف، والتصدي لمثل هذه التيارات.

وأخطر من ذلك أن يحملها شباب المسلمين لديارهم ليقنعوا بها غيرهم: فكراً مقلداً، أو ينشروها بين أضرابهم كشيء جديد وافد ليرفع المجتمع، ويعلي مكانة الأمة، وليث ذلك كله منسوخاً من البيئة المصدرة، كأبي بضاعة ذات نفع في شئون الحياة.

ولذا فإن على المهتمين بأمور الشباب، أن يسلحهم بما يعينهم لفهم الحقيقة، وإدراك كمال الإسلام، وشمول تعاليمه لما يصلح أحوال الناس في معاشهم ومعادهم، وأن تكامل العقيدة، مما يسمو بالنفس البشرية، إلى الإدراك المتكامل لما في الإسلام من حل لجميع القضايا المطروحة، إذ قصور البعض عن تخطي العقبات المجسمة، لم يكن من نقص في تعاليم الإسلام، ولكنه قصور في المعرفة، وضعف في التطبيق. ذلك أن هدف الإسلام النزوع إلى الحق، والإرشاد إلى الطرق المؤدية إليه.

ولو مثلنا لذلك بالحالة الاقتصادية، المبنية في المجتمع الغربي على الربا، والأرباح المركبة.. فإن المسلم يستطيع أن يرد عليهم عن سبب تحريمه، واعتباره محاربة لله عز وجل، ورسوله^(١) المصطفى ﷺ، لما فيه احتكار للمال، وإضرار بالمجتمع، وتضييق على الفقير، وزيادة فقره فقراً، وبطر للغني وزيادة غناه غنى.

ذلك أن المال الذي ينتشر في المجتمع، ويوسّع فيه على المحتاج: إحساناً

(١) اقرأ آيات الربا في سورة البقرة من ٢٧٥ - ٢٧٩.

وصدقة، وإنظاراً لمن أعسر، وتشغيلاً بالأجرة وال عوض وغير هذا من الأمور التي شرعها الإسلام في التعامل، لما يجعل في المجتمع حركة، ويزيد فرص العمل، ويدخل السعادة على أسر هي في أمس الحاجة إلى التماس الطريق الشريف لكسب لقمة العيش.

وهذا ما ينظر إليه الإسلام ويهتم به لأنه من التعاون والترابط الاجتماعي، ومن عدم نقمة الفقير على الغني، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حِزْبًا وَرَحِمْتَ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١). فالمال مال الله، والبشر مؤتمنون عليه، وجاءت شريعة الإسلام لترسم للنفس طريقة الأمانة للتصرف في هذا المال، أخذاً وعطاء، ورأفة بالعباد، وأداء لحق الله فيه.

ولأن المال هو عصب الحياة، وشريانها النابض، كما يقول المختصون في هذا المجال، فإنه يجب أن يرسخ في أذهان الشباب، ركائز الإسلام في تمكين قواعد التوجيه فيه، واختلاف منهجه عن نظرة الماديين، وأصحاب المبادئ الأخرى والإبانة عن وسطية الإسلام في تسيير المال لشئون الحياة بين المذهبين المتحكمين عالمياً اليوم: الرأسمالية والاشتراكية.. وأن تسخير المال، وتوزيعه في البيئة الإسلامية، لم يكن خاضعاً لأنظمة بشرية، تخطيء أكثر مما تصيب، ولكنه توجيه من رب العالمين، الذي يعلم ما يصلح أحوال الناس وما يتلاءم مع متطلبات حياتهم، أو تنتظم به معيشتهم.

وما يقال عن المال، يقال مثله عن حاجة المجتمعات إلى الأمن، وعقوبة الإسلام الشديدة والرادعة، لمن يزعزع راحة المجتمعات، أو يتعدى على الممتلكات والحرمات، إذ الرخاء والاستقرار، واتساع الحضارة، وانتظام المعيشة وغير هذا من شئون الحياة المتعددة، لا يهدأ وضعها، ولا يفسح

(١) سورة الزخرف آية ٣٢.

المجال أمامها للنمو بدون الأمن. والموجهون للشباب في المجتمع الإسلامي، عليهم دور كبير في تلقيح أذهانهم بما يضاد تلك السموم الموجهة، وتعبئة الأوعية المتهئية، بما يكفيها عن استقبال كل وافد، ليكون في المجتمع سدّ منيع، ضد التيارات الموجهة، وإيقاف زخرف نشرها، أو تمجيدها، بفكر أقوى، وإدراك أشمل وأصلح، والبقاء كما يقال: للأصلح. وحتى يدرك الشباب بأن فكر الإسلام هو الأصلح، فلا بد من مخاطبة عقولهم من منطوق الشبهات المطروحة، وتوضيح نظرة الإسلام الحقيقية للأمور مقرونة بالنتائج والأسباب والمسببات، وموثقة بالبراهين والأرقام، حتى تكبر تعاليم الإسلام في نفوسهم ويجدون ما يعينهم في دحض الفكر الوافد، المرتكز على عناصر مادية وإلحادية بحتة، كإنكار ما وراء الطبيعة من العوالم، أو الفكر المنقول مع التقنية، المصحوبة بمناهجها، وأصولها المادية. إذ أخطر ما يواجه الشباب المسلم، وخاصة الذي يدرس في بلاد لا تدين بالإسلام، بل تحاربه، وتحارب أفكاره، ما يجده من أفكار ونظريات علمية، تغاير الفكر الإسلامي وحقائقه، فالطالب على مقاعد الدراسة، يتشوق لدراسة العلوم المختلفة، ويرغب في نقل التكنولوجيا إلى بلاده، لكنه يتعرض لنظريات وقوانين، قد صيغت بأسلوب إلحادي يشككه في دينه.

ولذا فإن على علماء المسلمين مسئولية كبيرة في تغيير الصياغة العلمية، بمختلف الفنون بما يتمشى مع الإيمان الصحيح، الذي بموجبه يتنقّى فكر الشباب المسلم وتتركز مصادر الأخذ بما يطمئن على سلامة العقيدة.. وهذا ما يدعو إليه المخلصون باسم أسلحة المعرفة.

١١ — أما تبني التيارات الأدبية بمذاهبها وأهدافها : فإن هذا من أخطر ما يواجه الشباب اليوم، عندما قلّدوا كل وافد، إذ التأثير العلمي قد يكون أخف، فهو مصحوب بأمور مادية ونتائج تجريبية، لكن الأدب

فكر وثقافة، ولذا نلمس في الحداثة قدحاً للتراث الإسلامي ونعوتاً لمصادر الشريعة الإسلامية، وإبرازاً لشخصيات عرفت من قبل بجنوحها العقدي كالحلاج والأسود العنسي ومهيار الديلمي، وميمون القداح وغيرهم حيث يرفعون من قدرهم ويعلون مكانتهم.. وكل واحد من هؤلاء وغيرهم له في التاريخ الإسلامي سجل أسود.

حيث أطلق عليهم علماءنا القدامى الكفر، ووصموهم بالمروق من الدين، وبانت أفكارهم الجدلية وعلاقاتهم بأديان ومعتقدات الأمم التي غلبتها الجيوش الإسلامية، وانطوت تحت لواء الدولة التي يحكمها كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، من باب محاولة إفساد الإسلام من داخله. وإذا كان المنتمون لهذا الخطر منذ الدولة العباسية، هم أصحاب النزعات البعيدة عن الوفاق مع تعاليم الإسلام، ليعبروا في أديهم عن مكنون نفوسهم، وارتباطهم بمن خلفهم، كما يلمس مثل ذلك في شعر بشار بن برد، ومحاولته الرفع من المانوية، وهي عقيدة وثنية، تمثل إله النور والظلام، وتعمده السخرية من النسب العربي، فإن مثل هذه الحركة قد كثرت في عهد المنصور وابنه المهدي، وحاربوها باسم الزندقة، وكثر المنتمون إليها، ومن قتل من الأدباء لأفكاره: بشار بن برد، وابن المقفع وصالح بن عبد القدوس، وغيرهم..

ولذا كان مثل هذا المنهج مطية في بلاد الشرق والغرب، يعبر بها الأدباء المنفلتون من قيود الدين والأمانة عن خلجات نفوسهم، ورغباتهم الذاتية، وانتقاداتهم الاجتماعية، وانتماءاتهم الفكرية والعقدية.

ولأن عذر هؤلاء في الالتزام بمثل هذه الشهوات، فإن من سايرهم من أبناء المسلمين في اتجاهاتهم فإنهم غير معذورين، لأن لهم فكراً غير فكريهم، ومنطلقاً غير منطلقهم، وثقافة غير ثقافتهم.

واتباع بعض الشباب في ديار الإسلام لما سار عليه أولئك، من تسخير

الأدب: فكراً وأسلوباً وأففاظاً. للتعبير والدعوة عما يختلف عن منهج الإسلام، وحرص تعاليمه على حماية الفرد، وسلامة المجتمع، لما يضر بهما، أو يخلخل كيانهما، وهو قصور في الفهم، ونقص في الإدراك، وتقليد جاء من غير روية، ومركب نقص، يعبر عنه صاحبه بشيء قد لا يدرك أبعاده. ومن هنا يلمس المتتبع لمسيرة بعض الشباب الأدبية؛ أفكاراً تطرح، وأففاظاً يؤتى بها، تخدم مذاهب وأهدافاً تأبأها تعاليم الإسلام، وينهى عنها شرع الله، وتتنافر مع صحيح اللغة وقواعدها.

ذلك أن من منهج شرع الله الذي شرع لعباده، ما قاله رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ضمن وصية يجب أن يأخذ بها كل مسلم، ومنها قوله ﷺ: «كف عليك هذا.. وأشار إلى لسانه. فقال معاذ: أنحن مؤاخذون بما نقول يا رسول الله؟!

فقال: ثكلتك أمك يا معاذ.. وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم».. وما يرصده القلم هو جزء من حصاد اللسان.

والذي يجب أن ينمى عند شباب المسلمين، أن الفكر يجب أن يكون مأخذه إسلامياً، ومستمداً مما يدعو إليه الدين بمصدري التشريع فيه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ثم بما فهمه وسار عليه سلف الأمة.. وأن تكون الحصيلة الأدبية، أداة تخدم هذا الفكر، سواء كانت شعراً أو نثراً، وسواء كانت خطابة أو مشاركة كتابية.

وأن تعالج القضايا التي تمر بالفرد والجماعة، من زاوية الامتثال لذلك الشرع، وتثبيت دعائمه في النفوس. لأن القرآن الكريم، لم يكن بمعزل عن الحياة، مهما جد في كل عصر ومهما تغيرت أساليب وأنماط العيش فيها، لأن الله جل وعلا يقول وقوله الحق: ﴿مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (١)

(١) سورة الأنعام آية ٣٨.

وعمل الأديب في المجتمع الإسلامي، يجب أن يكون متشبعاً بفكره، منطلقاً من أسلوب دعوته، مدافعاً عن كل دخیل على هذا المجتمع، لأن أعداء الإسلام يحرصون على تغيير شخصية والتزام أبناء المسلمين، ويرون الأدب وسيلة من تلك الوسائل، وأقصرها منفذاً.

وإيقاف الزحف الفكري، الموجه للشباب عن طريق مسارب الأدب، يحتاج إلى تنمية الأصالة في الشباب، وربطهم بجذور لغتهم، ومكانة دينهم، وسمو تعاليمه، وشمولية فوائده، وإثبات ذلك بالوقائع والبراهين، وتعميق الجذور التراثية من نفوسهم، ذلك الوتر الذي يضرب عليه أعداؤهم ليباعدوا بينهم وبينه، وليجعلوا نفوسهم في شك من الماضي، وقدرة على تحمل الواقع بدون استناد على هذا الفكر والثقافة الوافدين إليهم من بلاد توسم بالرقى والحضارة والتقدم.

وإذا أدرك الموجهون للشباب، ثم بثوه بينهم عقيدة ومنهجاً مثل هذا النص الكريم: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(١).

فإنه سيكون منهم من يدرك الحجاب الذي يجب الاحتفاء به، والشخصية المستقلة التي تُحسِنُ مجابهة تلك التيارات سواء كانت من هاتين الملتين، أم من غيرها. وأول ذلك عدم القدوة بغيرهم مظهراً وسلوكاً، وفكراً وسيرة عمل.

١٢ — ويأتي دور: تشييط هم الشباب : وتشكيكهم في قدرة أمتهم الإسلامية في مسابقة الأمم الأخرى حضارياً وعلمياً: إذ هذا التشييط مبعثه قصور المعرفة لدى الشباب، فمن يناقش الجاهل يغلبه، ومن يطرح شبهات على من هو خالي الوفاض، يشككه في أمره..

وشباب المسلمين الذين بهرتهم الحضارات الحديثة، وأساليب الصناعة والمخترعات، ثم بما يحجزه عنهم الغربيون والشرقيون على السواء، من أسرار

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.

العلوم والتكنولوجيا، كل هذا وأكثر منه، يدفع شباب المسلمين إلى التعلق بأولئك وفكرهم، وتبنى انتقاداتهم وتشكيكهم في قدرة الأمة المسلمة، على مسايرة هذه الأمم حضارياً وعلمياً، وذلك بوصم الإسلام وتعاليمه بنعوت كثيرة، وبقصوره في الميدان: الاقتصادي، والقانوني، والتنظيمي، والإعلامي وغير هذا من سبل الحياة الحاضرة.

وهذه النغمة لم تكن جديدة، بل بدأها اليهود في المدينة في حياة رسول الله ﷺ يثنونها فكراً بين المشركين المعاندين للرسالة، وتشكيكاً مع بعض الصحابة في النقاش والشبهات التي تطرح.. ثم كبرت واتسع نطاقها مع الحملات الصليبية.. ولما بدأ الاستشراق يأخذ سمة الثقافة والإفادة مع النهضة الأوروبية، ساق الحق وسوء الفهم كثيراً من المستشرقين لينفثوا سموماً، وينشروا شبهات حول رسول الله ﷺ والقرآن الكريم، وعدم صدق دلالة ما جاء به، والأساليب التي نظمت ذلك من حدود وزواج.. فطرحت المسائل الكثيرة على أنها شبهات تصم الإسلام بعدم القدرة، ورجاله القائمين عليه، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، بنعوت تقلل من قدرهم، وتضعف من مكانة الاتجاه الذي ساروا إليه، والهدف الذي قصدوه.. وذلك بإطلاق المطامع الدنيوية، والرغبات الشخصية على أعمالهم، ووصمهم بالعنف والشدّة، ونعت تعليم دينهم وحدوده الشرعية بالقسوة، وعدم ملائمة العصر الذي نعيش فيه لتلك الأحكام.. ثم وضع مقاييس ومعايير تخدم هدفاً ثانوياً وقام بها رجال في مجتمعاتهم عرفوا بالظلم والشدّة، كنماذج لرجال الإسلام وتعاليمه، مع أن البون شاسع، والهدف متغاير.

فرجال الإسلام يريدون ما عند الله، والجزاء الأوفى في الآخرة، وهؤلاء يريدون التسلط والتشفي والمتعة، والانتقام. وفي العصر الحاضر، الذي أخذ سمة التقنين لكل نظام، والتخصص

لكل فن، والتعقيد لكل أمر، يوضع أمام شباب المسلمين وجهات نظر مجسمة، عن قصور الشريعة الإسلامية، في التكيف مع تلك النظم، وقدرتها في الصمود لتسيير الأحوال، لأنها — حسب مفهومهم — شريعة تقتصر على العبادة.

والحياة الصناعية والعلمية، وأساليب التعامل في الحضارة الراهنة، تتطلب مرونة واتساع أفق، لا يتيسر وفق تعاليم الإسلام المحصورة في نطاق ضيق لا يستوعب شئون الحياة الحاضرة.. ولكي يجدوا لأقوالهم مدخلاً في أذهان بعض الشباب الفارغة، فإنهم يضربون لهم الأمثال بتمرد رجال العلم والتكنولوجيا في الغرب، على الكنيسة، التي حصرتهم في نطاق ضيق، وشددت على العلم والعلماء في محاكم التفتيش إبان النهضة الأوروبية الحديثة، حتى ظهر عندهم شعار التمرد على الكنيسة ورجالها باسم: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله..

وغير هذا من نماذج وشبهات، يجدر بالموجهين للشباب الإسلامي، أن يحصنهم ضدها، ليدركوا، أن الدولة الإسلامية صلحت وأصلحت المجتمعات منذ عهد رسول الله ﷺ، وحتى قرون متطاولة. استوعبت خلالها العلم والتقدم والحضارة، بشتى مناحيها، وسعدت المجتمعات، واستقامت أحوال الناس في معاشهم وتنظيم حياتهم، بل سعد الغرب بما أخذ من المسلمين من علوم ومعارف، وبما استفادته من تنظيم وتقنين لنواحي أعمال الحياة. ولم تقف حضارة الغرب، إلا على أسس متينة مما أرساه الإسلام والمسلمون وما عرفت الإنسانية منهجاً سليماً في العدالة وحسن الاستقامة، إلا تحت ظل الشريعة الإسلامية، وقد شهد جم غفير من مفكري الغرب والشرق بمكانة الإسلام، ودوره في إسعاد البشرية، ومنهم أديسون الذي قال: إن الإسلام لم يكن ديناً للعرب، وإنما هو دين الإنسانية من أقصى الأرض إلى أقصاها، ولا هو مختص بجيل دون جيل،

بل هو لعامة الأجيال إلى منتهى الدهر.

ذلك أن الدين الإسلامي يحث على العلم بجميع فروعِهِ، وليس علم الحديث والفقه والمنطق والشرع فقط وإنما كل ما تناله الكلمة من علم الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء وجميع العلوم، والدين الإسلامي لا يختلف هو والعلم، ولا يمكن أن يختلفا، بل الذي نعلم أن أكبر العلماء وأرسخهم علماً هم أقربهم إيماناً وخشية لله سبحانه — كما قال بذلك قيسي —.

ويقول ماركوس دودز: ليس في الدين نفسه ما يتعارض مع التقدم العقلي، فالعقيدة التي يتمسك أتباعها بالمبدأ القائل: أوصى الله إلى رسله، تترك أوسع مجال للتفكير والتأمل، والدين الذي يخص كل جندي يقع في ميدان القتال في سبيل الله بتاج الاستشهاد، ويعلن في الوقت نفسه أن مداد العالم أغلى من دم الشهيد، ليس من العدل في شيء أن يوصم بأنه دين ظلام.

ولذا فإن الشباب في المجتمع الإسلامي في حاجة إلى أن ينور ذهنه، وتوسع مداركه بمثل هذه الأقوال، وبما صدره كثير من مفكري الغرب، اعترافاً للحق على أنه الحق، حيث أن أمثال: كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب للكاتبة الألمانية زيفريد هونكه، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم للدكتور الفرنسي موريس بوكاي، وروح الإسلام للمسلم المؤرخ الهندي سيد أمير علي، والطريق إلى مكة للمسلم المجري محمد أسد، وغيرها من الكتب التي اقترن فيها الفكر بالعلم، وهذا من باب مخاطبة الناس بما يعرفون، وإلا فإن في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وفهم رجال السلف الأول من هذه الأمة ما يغني ويثري ثقافة وعلماء، وردوداً وتوضيحاً، كما كان الإمام مالك يقول: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وفهم الشباب للإسلام هو الذي سيصلح

أحوالهم ونظراتهم للأمور، لأن بذلك العزة والارتقاء، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومتى ابتغينا العز بغيره أذلنا الله.

وإن أهم ما يقف أمام الشباب البلبلة الفكرية، ونقل الفكر إليهم مع التقنية مصحوبة بمناهجها وأصولها المادية، ذلك أن الفكر في النظريات العلمية والفيزياء، ينكر ما وراء الطبيعة، ويرتكز على عناصر مادية إلحادية بحتة، حسب صياغاتها، وذلك لقلة المؤمنين في الميدان العلمي.

ويمكن للعالم المسلم تغيير تلك الصياغات بما يتمشى مع الإيمان الحقيقي، وتقديمها للشباب كمادة محبة، مرتبطة بالجذور العقدية، والأصل الإيمان في التفكير الذي أمر الله به الفئة المؤمنة، ومتأصلة في العلماء خشية الله، واعتقاداً في كمال قدرته، وإحاطته بكل شيء، وأن ما علمه البشر ما هو إلا قليل في علم الله جل وعلا، الذي وسع كل شيء علماً.

